محمد العوضي

في اليوم الرابع من عيد الفطر الماضي كنت في مجمع الحمرة مول بالفروانية، فأدركتني صلاة المغرب، فذهبت للصلاة في الدور الثالث في الزاوية الصغيرة التي تقع بين عيادة الميدان للأسنان وسفريات الفروانية.

كنت في الصف الثالث، كانت قراءة القرآن تتلى بصوت جميل وبأداء سليم، على الرغم من أن الذي يصلي بنا ليس عربيًّا، والعجمة ظاهرة على لسانه، انتهت الصلاة، وإذا بالإمام شاب حنطاوي البشرة نحيل الجسد، متوسط القامة، غطت خده لحية خفيفة، جلس بعد الصلاة بهدوء يسترخي من عناء الدنيا بالتسبيح، كان يصلي بجواري طبيب الأسنان الاستشاري الدكتور عبدالله المصري وجمع من الأطباء، ومدير لسفريات الفروانية وبعض رجال التجارة، فاقتربت من الذي صلى بنا، وسلمت عليه، وسألته: ما وظيفتك؟ فقال: زبال، وقد بدا ذلك ظاهرًا من البلسوت البيجي الذي يرتديه هو وأصحابه، فقلت له: أين تعلمت تلاوة القرآن؟ فقال: تعلمته، وحفظته في مدينة كيرلا بالهند، واسترسلت معه في الحديث عن معاشهم وسكنهم، وشركتهم، وأوضاعهم، كان الدكتور عبدالله المصري ينتظرني، فقلت له: لا تعجب يا دكتور، إنسان فقير وغريب هاجر آلاف الأميال من أجل

دنانير معدودة، من أجل تأمين الرزق له ولمن يعول، والتبسط مع هؤلاء ومواساتهم عبادة لا تقل عن الصلاة، ولقد أسرني منظر الصلاة ومعانيها الاجتماعية، زبال فقير أعجمي يؤم، ويقود مواطنين ودكاترة وأطباء ومسؤولين، ليتنا نفهم الصلاة، وندرك ثمرتها الاجتماعية والأخلاقية.

وقفة: أسرد هذا المشهد؛ لأعزز قيمة التواضع والمبدأ القرآني: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) في ظل ازدياد معدلات التعصب، وانهيار الولاء للحق والمبادئ واستبدال ذلك بالالتفاف الأعمى حول الانتماءات، لمجرد أنها انتماءات، لقد رأيت في هذا الزبال الهندي من الصدق والإخلاص ما يفوق آلاف المواطنين من طول البلاد وعرضها، لا فرق بين أبناء بطنها أو أولاد أصابعها أو منتجات «وسطها»، فالقيم لا علاقة لها بالأسماء، وإنما بما تربى عليه الإنسان، وما استقر عليه خلقه وضميره. فالعبرة بالسلوك، وليس بالدجل بالشعارات.